

التهضة النسائية

في سوريا ولبنان

للآنسة ماري عجمي

منذ عشر سنوات ونيف انشئت في سوريا ولبنان جمعيات ادبية وضعت لنفسها اهدافاً واجدة او متقاربة تنبئ انما اعدت لنشر روح جديدة في شتى مرافق الحياة الاجتماعية . عشر سنوات تنقضي بين تصنيق الخطيبات وتهليل للمؤتمرات ووصف المآدب التي تقوم لمن علي صحائف الجرائد والمجلات تهيب بنا الى التساؤل وهو من حق كل مفكر : اية فائدة نتجت من كل هذه المساعي والمجتمعات ؟ والى اية درجة قدرت هذه الجمعيات ان ترفع من مستوى المرأة الادبي وكم هو مقدار ما حدثت من الاصلاح الاجتماعي ؟ وكم من مئات القرارات التي انتهت اليها هذه المؤتمرات وضع موضع العمل والتنفيذ ؟ وماهي العوامل التي سببت وقوف الجماعات النسائية عند حد ترديد الاقوال التي لا يتجاوزنها الى العمل بما يرتفع من صرخاتهن في الدعوة الى الاشتراك مع الرجال في حل المشاكل الاجتماعية والوطنية ، وتعميم الثقافة بواسطة المحاضرات في الكتب والى قلب التقاليد والعادات ، والى تأييد الصناعة الوطنية والى المطالبة بجعل التعليم الابتدائي للبنات اجبارياً واستبدال ماوضع من الشرائع والقوانين التي اشارت الدلائل الى وجوب تغييرها او تعديلها بما للمرأة به علاقة كلية او جزئية ؟

ان اغراضاً كهذه تجعلها الجمعيات اهدافاً لمساعدتها ، وتشير الى ان المرأة السورية واللبنانية اصبحت لتتطلب لحياتها المثل العليا - تكفي للتدليل على ان في سوريا ولبنان نهضة نسائية علمية .

* * *

وقد اكون من الكاذبين ان لم اؤمن بان المرأة قد نهضت عن موضعها وانا اراها تؤلف الحلقات وتنشئ المؤتمرات وتقوم برحلات من بيروت الى سوريا ومن سوريا الى لبنان ومن لبنان الى طهران .
ولا اكون اكثر زوراً مني ساعة اشهد ان المرأة لم تحقق غرضاً من اغراض

هذه الدعوة العريضة ما عدا جمع بعض الكتب في مكاتب الجمعيات التي لا تقرأ منها على الغالب الا الروايات ، وما عدا اقامة بعض حفلات ترى الخطيبة لا تلتقي فيها الا الخطب الباردة في ابحاث فرغ الناس منها هي صدى ما علق بذهنها من مطالعة الصحف الحين بعد الحين .

اما العوامل التي سببت وقوف عمل جمعيات النساء عندهما الحد على ما يقول بعض المكزبن فالاخلاق السلبية التي يتصف بها كل من الرجل والمرأة في سوريا وان أثر هذه الاخلاق في المرأة ما يزال اقوى منه في الرجل فهي قد توافقك على الفكرة الفلسفية والعلمية وتشعر بضرورة عملها بها سعيًا وراء المثل الاعلى ثم تقف مترددة ثم محجمة عما تطمح اليه بعامل الجبن أو الوجع أو الكسل أو الجهل .

وقد يكون جهل جماعات النساء بالطريق الى تحقيق اغراض جمعياتهن اكبر العوامل التي وقفت بهن بعد عشر سنوات في المناقشات التي لا طائل تحتها عند هذا الحد لانك اذا بحثت بينهن عن حاملات شهادات الطب والآداب والصيدلة والحقوق والفنون القادرات على التعمق والافاضة لا ترى اثرًا لهن في هذه الجمعيات الا حين يدعين الى القاء كلمة . لان هذه الفئة لم تجد حتى اليوم على هذه الجمعيات بشرف انتائها اليهن ، ولاهن يأبهن لتأليف جمعيات خاصة بهن بتذوقن فيها لذة التفاهم ويعملن في صبر وتأن على ابراز اعمالهن بدقة وانقان لينتجن شيئًا او يحققن غاية اديبية او موسيقية او فنية او رياضية او اجتماعية أو علمية على تقيض ما ترى من النهضات النسائية في العجم وفي الهند وفي تركيا تلك الاقطار الشرقية التي تسير المرأة المثقفة بجماعتها وفق فكرة فلسفية او وفق غاية معينة تطمح بها الى مثل اعلى تضعه نصب عينيهما وتبذل قصاراها في البلوغ اليه رغم ما تلاقيه من عنث واجهاد ومشاق الى ان يقبض لها الله اسباب التوفيق .

فاذا لم تنألف الجمعيات النسائية من فرق المثقفات او لم يكن كل الاعضاء في جمعية واحدة مثقفات فان جمعياتنا الخاضرة ولئن ناصرته العاملات باخلاصهن ، ودرجة اكثرهن العلمية لا تسمو على التعليم الابتدائي ، باقية عند هذا الحد الى عشر سنوات اخرى تظل فيها نهضتنا النسائية الموهومة سخريه لادبيات الغرب اللاتي يأتين للسياحة في هذه البلاد وان لي مما نشرته اديبية فرنسية سائحة طلبت ان تجتمع الى الزعيمات فكان

لها ما اراديت دليلاً على ذلك . فقد رغبت هذه السائحة ان تطلع على درجة مستوى زعيماتنا العلمي فقامت تلتقي علمين الاسئلة فاذا هن يجملن تاريخ دينهن وبلادهن حتى اسماء الجبال التي تحيط ببلدتهن و يشرفن عليهن من نوافذ منازلهن ! . . .

فزعامة من هذا النوع نملأ بها الدنيا من الجمعية قبل ان تقوى على تحريك الرجي تنشر في الصحف انها تفعل كثيراً وهي لاتفعل شيئاً وانها تمثل نشاط نساء البلاد ودرجة ثقافتهم وهي في الواقع تمثل كسلهن او ضعفهن او جهلن المطبق وان جمعيات من هذا الصنف تقف المثقفات عنها في نجوة محرية بالسخر اللاذع . وكثيراً ما تنقلب هذه الجمعيات الادبية الى جمعيات خيرية وليس من عجب في ذلك لان الجمعيات الخيرية في سوريا ولبنان ناجحة ، سهولة تأثر الناس بالدعوة الى التصديق وصعوبة تأثرهم بالدعوة الى فكرة علمية او اديبة ولان الجود بالمال اسرع على امثالنا من الجود بالادب . وان تصدقك على مريض او بائس يربح ليرة مثلاً اهون عليك من تصدقك يبحث طريف مستفيض . لان قرضنا لله مبلغاً زهيداً من المال نتوقع انه سيعوضه علينا بالفائدة الفاحشة الفأ ، هو مثار السذج على الغالب الى التصديق على البائسين والى معاضدة الجمعيات الخيرية لاسيما النسائية منها

يستخرج مما تقدم ان الدعوة الى تأييد الصناعة الوطنية من جمعية لا تقصر ما يتبعها على الماء ككل والملابس الوطنية ، وان الدعوة الى التهذيب والادب من جمعية لا تقوى عضو فيها ان تثير العاطفة او تخاطب العقل ، وان الدعوة الى الاصلاح الاجتماعي من جمعية لا تقدر ان تلمس اليه طريقاً غير الذي ترشدها المبرشات الاجنبيات اليه ، وان الدعوة الى رفع مستوى المرأة واصلاح شؤونها بتعديل ما تثن منه من الشرائع من جمعية لا تغامر بشيء في سبيل الارغام على وضع تشريع جديد يضع حداً للشكاوي والمظالم ، اجل ان هذه الدعوات كلها الملقبة بالنهضة النسائية ما تزال ضعيفة خائرة لضعف القائمات بها ولخور في عزائمهن ولأن أكثرهن ينتحى بها طريق الشهرة لا طريق التضحية والكران والمغامرة بالوقت والدرس والمقادة بالمال والنفس .

وستبقى هذه الدعوات صرخت في واد تصطك منها آذان المثقفين الى ان نتحسس المثقفات بضرورة تغذيتها ودعمها بروح العلم وميزان العقل تحقيقاً للغاية منها والى ان يتناولن بذورها ليغرسنها في حقول سوريا ولبنان متعبدات بجرث منابهن وشتقيها وتنقيتها لتغدو ازهارها حية نامية . لا ازهاراً توضع في الآنية ايام الحفلات لتذبل في الغد ذبول الجني من الازهار .

ماري عجمي